الأغنيـة الأخيـرة

سعدالدّين كليبْ

وحيداً تسير المسافات فيّ
ويرحل فيّ ارتطام الصدى . . والخواء
وحيداً على الحزن أنقش صمتي
أبعثر فيه الرجـاء
ومن دون قصـدٍ
ألملمُ بعضي . . وأدلقه في ارتخاء
فلا وقت للامس
هاتي يديكِ فقد عقّني الصبرُ
وآغتالني خنجر الإنتظـار
وحيداً بجوف الصراع ألوب
وأصطحب القهر والحلم والمستحيل
إلـى أينَ ؟ ! . .
ليس مهمّاً
ففي الحلم متّسعٌ للضيـاعْ
وفي الجرح متّسع للنزيـف
وحيداً أغـوص بجرحكِ
أنزف عنـك الدمـاء
وأركض فيك . . لعلَّ الأنين
يموسق فصـلاً جديداً
فقد ضاقت الأرض ذرعاً بفصل العواء
وأنتِ تنامين تحت الرمـاد
بدون حفيفٍ . . ودون صرير
غريبٌ جمودك في الليل جدُّ غريب
أيـا أنتِ . .
لكنما أيـن أنت
كأنكِ ما عدتِ أنت
وصوتي بسمعك صوتٌ مريبْ
هراء بقاياك فيّ
هراء بقاياي فيـك
ولكنّ حبَّك أكبر مني وأقوى

فها أنت بيني وبيني
ولا أنتِ لحمي ولا أنت دميّ
فهل أنت أمّي
ولكـن . . .
ويثقب خوفي الصدى والخواء
وحيداً تهاداني الوهمُ بين قُراه
فمن زفرةٍ كافرهْ
إلى لعنـة عاهـرهْ
ومن مخلب الرعب أهرب ليلاً
الى المقلة الراعفهْ
فقد كنتِ يا جعبة الجدْبِ
لي غيمـةً ماطرهْ
لماذا إذن راح يهطل فوق رؤاي النعيق
لماذا المشانق تنبت بين الدماء وبين العروق
لماذا سماؤك قفـراءُ . .
أرضك يبتاعها القحط جهراً
وأحلاكم البيض ما عاد فيها بريقْ
فما كنت أعلم حين أتيتك
أحمل بعضي على كتْف بعضي
بأنك قهري
وهوّة صحوي
وسكين حقدٍ يمزّق أحشاء روضي النحيل
ويفتك دون حنينٍ
بأنسجة السنبلهْ
فقد كنت أحسب أنك رعشة قمحٍ
وثـورة بيدرْ
وما كنت أعلم أنك ـ صبحاً وليلاً ـ خليّةُ عسكرْ
وأن هواي . .
يعيش على أضلع المقصلهْ

حماه